

الحج و أبعاده التربوية والإجتماعية

السيد علي قاضي عسكر



الحج و أبعاده التربوية والإجتماعية

السيد علي قاضي عسكر

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾^١

الحج هو زيارة بيت الله الحرام^٢، الذي جعله الله مثابة للناس وأمناً وقبلته يتوجه نحوها جميع المسلمين في عباداتهم^٣، والطريق المؤدّي إلى غفران الرحمن والدخول إلى جنّة الرضوان^٤.

ولقد كان الحج فريضة مفروضة في أولى الشرائع الإلهية، وأدّاه الملائكة وآدم وحواء وأنبياء الله جميعاً على أكمل وجه^٥، وأدخل إبراهيم عليه السلام إمام الموحدين

١ . سورة آل عمران: ٩٧.

٢ . وسائل الشيعة ٨: ٦، سورة الحج: ٢٧.

٣ . «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا»، البقرة: ١٢٥. «فَلَنُؤَلِّقَنَّكَ قَبْلَةَ تَرْضَاهَا»، البقرة: ١٤٤.

٤ . راجع فروع الكافي ١: ٢١٩.

٥ . من لا يحضره الفقيه ١: ١٥٩، علل الشرائع: ٣٩٩-٤٠٦.



تعديلات عليه وجدده^٦، وأمر إسماعيل بالتمهيد لإقامة تلك الشعيرة المقدسة^٧، وقد أدى الرسول الأكرم ﷺ شعائر هذه الفريضة مرّات عديدة رغم كل الصعوبات التي واجهته^٨.

وتعتبر عبادة الحج من أهم العبادات الإسلامية، وتذكر بعض النصوص أنها تأتي بالدرجة الثانية بعد الصلاة في الأهمية والأفضلية، وأنه أحد الجهادين، فقد روى الكليني بطريق معتبر عن عبد الله بن يحيى الكاهلي قال: «سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ويذكر الحج فقال: قال رسول الله ﷺ: «هو أحد الجهادين، هو جهاد الضعفاء ونحن الضعفاء، أما إنه ليس شيء أفضل من الحج إلا الصلاة، وفي الحج ههنا صلاة وليس في الصلاة قبلكم حج»^٩.

كما أن الحج عماد الدين وقوام وجوده، فقد ورد في الحديث: «لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»^{١٠}.

ولا يجوز تعطيل الكعبة والحج، ويجب على إمام المسلمين إلزام المسلمين أن يقوموا بأداء هذا الواجب والانفاق عليه إذا لم يتحقق ذلك بشكل اعتيادي^{١١}.

٦. «وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»، البقرة: ١٢٧.

٧. «وَإِذْ نَادَىٰ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ: وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ»، البقرة: ١٢٥.

٨. في صحيح البخاري: «حجّ النبي ﷺ قبل النبوة وبعدها، ولم يعرف عددها ولم يحجّ بعد الهجرة إلا حجة الوداع». وفي الكافي عن الإمام الصادق عليه السلام: «حج رسول الله ﷺ عشرين حجة مستقرة».

٩. وسائل الشيعة ٨: ٧٧، ح ٢.

١٠. وسائل الشيعة ٨: ١٤، ح ٥.

١١. راجع جواهر الكلام ١٧: ٢١٤.



نعم، ذلكم هو الحج الذي يكافح ويسعى المسلم في سبيل أداء مناسكه، ويحمل نفسه مشقة وتعباً، ويعاني مرارة الغربة والهجران، ويمسك عن جميع ميوله ولذاته، ويمتنع عن كثير من عاداته وطبائعه، باذلاً القدر الأكبر من مصاريفه لذلك، إنَّه الحجّ الذي يُزيح عن كاهل المؤمن الكثير من المعاصي الكبيرة بأدائه هذه الفريضة، يحو عن قلبه كلّ صدأٍ سببته سيئاته، فيكون كمن ولدته أمّه^{١٢}، فالحجّ تفسير^{١٣} لآية: ﴿فَقَرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾ و﴿فِيأَمَّا لِلنَّاسِ﴾^{١٤}، ورمز قوتهم وعزتهم.^{١٥}

وهذه العبادة بهذه الأوصاف، لا يمكن أن تكون مجرد شعيرة ظاهرية بحتة، فلا شك أنها تمتلك روحاً و فلسفة عميقة، ولها أسرارٌ وحكمٌ و أهداف وفوائد، ألفت بظلالها على حياة الإنسان في البعدين المادّي والمعنوي، وبالنفوذ ببصيرة إلى أعماق تلك الأعمال الظاهرية، وبالوصول إلى باطن تلك الأعمال يمكننا أن نفهم فلسفة تشريعها وأبعادها المختلفة، ونشهد منافعها المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَ أذُنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ * لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ﴾.^{١٦}

فالحديث عن الحج وما يتعلّق به من هذا المنطلق، أصبح ضرورة يلحّ الواقع عليها، و يأتي هذا المقال الموجز تبياناً لما يتعلّق بتلك الأبعاد المكونة للحج،

١٢. (ثواب الأعمال: ٢٧، وسائل الشيعة ٨: ٨٣، الحديث ١٥).

١٣. تفسير القمي: ٤٤٨، معاني الأخبار: ٢٢٢، بحار الأنوار: ٩٩: ٦.

١٤. سورة المائدة: ٩٧.

١٥. «قال الصادق عليه السلام: لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة»، الكافي: ٤: ٢٧١، الحديث ٢٤.

١٦. سورة الحج: ٢٧-٢٨.



والأهداف المنشودة له، والمنافع المشهودة منه، مستندين على كتاب الله العزيز، والسنة النبوية الشريفة، وأحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ لفهم تلك الحقائق واستخراجها من مصادرها الأصيلة، ومقتبسين من أفكار الإمام الخميني رحمته الله لتوضيح بعض معالمها ومفاهيمها، عسى الله أن ينفع بها ضيوف الرحمن الوافدين من جميع بلاد الإسلام، وتنال رضى ربّ الأنام.

هذا، وسنركّز في البحث على البعدين التربوي والاجتماعي، لأهميتهما في واقعنا المعاصر:

القسم الأول: الجوانب التربوية في الحج

إنّ العقل وهو رسول الإنسان في باطنه، وإن كان غير عاجز عن البحث في فلسفة الحج، وأسراره العميقة وأهدافه في مختلف أبعاده، ومنها التربوية، ولكن نظراً لكون المعطيات والنتائج الحاصلة من ذلك هي عقلية بحتة، لا تخلو أن تكون تلك المعطيات ملوثة بالإشكالات والهفوات و«دين الله لا يصاب بالعقول»^{١٧}، ولذا فإننا اتبعنا خط سير أكثر أماناً للحصول على فلسفة الحج وأسراره، وسنقوم في الغالب ببحث وتقصي أحكام وأسرار الحج، بالاعتماد على المصادر النقلية من الكتاب والسنة، فإنهما لم يتركنا سدى في هذا المجال، حيث وضّحا لنا قسماً كبيراً من أسرار هذه العبادة وآثارها، وأهدافها السامية في الحياة الإنسانية، وسنسى إلى توضيح جزء من بحر لطائف وأسرار وأهداف ونتائج الحج الواسع، مستفيدين من التّصوُّص التي مجوزتنا والمستخرجة من آيات الكتاب، ومتون الأحاديث ولنتعرّف

١٧. بحار الأنوار ٣: ٣٠٣، الحديث ٤١.



على جانب من روح وعقل هذه العبادة الجماعية في جوانبها التربوية؛ ونبدأ
بالجانب السلوك الروحاني والعرفاني، لأهميته في تربية الإنسان، ثم نتطرق إلى
الجانب الأخلاقي:



أ - السلوك الروحاني والعرفاني

حين نطالع سيرة إبراهيم عليه السلام وحركته، كما بينها لنا القرآن الكريم، ونتابع
كيفية جلبه لولده وزوجه إلى صحراء مكة، ومن ثم قضية ذبح إسماعيل عليه السلام
ووصول الذبح السماوي، وبناء الكعبة المشرفة، وما تبعها من أعمال الحج، فإننا
نحصل على دورة كاملة للمسيرة العبادية والسلوك الروحاني والمعنوي للإنسان،
خروجاً من مخنق الذات وعبادتها، ووصولاً إلى التقرب إلى الله، ونبذ متعلقات



النفس الماديّة، والاتحاق بمقام الربّ، والركون إلى دار الكبرياء، ومع أنه يبدو للوهلة الأولى أن الأحداث التي واجهت إبراهيم عليه السلام، وكذلك أعمال مناسك الحجّ تتألف ظاهرياً من أحداث منفصلة عن بعضها البعض، إلا أن مطالعة دقيقة في هذا المجال، تبين لنا حقيقة أن هذه المناسك إنما هي سلسلة متصلة تلاحق هدفاً واحداً، يعبر عنها العرفاء بمراحل السير والسلوك الروحانيين، ومراتب الطلب والحضور ومراسيم الحبّ والعشق والإخلاص، وأخيراً خروج المرء من جلده والاتحاق ببحر وجود الخالق اللامحدود، كل ذلك يكون في باطن تلك المناسك، ويحصل الإنسان بذلك على نقاط ألطف كلما دققَ في تلك الأمور.^{١٨}

ويشترط في مسيرة الإنسان نحو الربّ الخروج من دائرة العالم الماديّ، وتبني طريقة السالكين إلى الله، قال الإمام الصادق عليه السلام: «إذا أردت الحجّ فجرد قلبك لله تعالى من كل شاغلٍ، ثم اغتسل بماء التوبة الخالصة من الذنوب، ودع الدنيا والراحة والخلق».^{١٩}

و كما قاله الإمام زين العابدين عليه السلام مخاطباً الشبلي: «فحين نزلت الميقات أنويت أنك خلعت ثوب المعصية ولبست ثوب الطاعة؟... فحين تجردت عن مخيط ثيابك أنويت أنك تجردت من الرياء والنفاق والدخول في الشبهات؟... فحين اغتسلت أنويت أنك اغتسلت من الخطايا والذنوب؟... فحين تنظّفت وأحرمت وعقدت الحجّ أنويت أنك تنظّفت بنور التوبة الخالصة لله تعالى؟... فحين أحرمت أنويت أنك حرّمت على نفسك كل محرّم حرّمه الله عزّ وجل؟... فحين عقدت الحجّ

١٨. تفسير الميزان ١: ٣٠١.

١٩. مصباح الشريعة، الباب ٢١١.



أنويت أنك قد حللت كل عقد لغير الله؟..» وهكذا يسير الإمام عليه السلام مع الشبلي في بيان معاني وفلسفة مناسك الحج حتى يحتتم كلامه عليه السلام قائلاً له: «..ارجع فإنك لم تحج». ٢٠

وحينما يسأل الإمام زين العابدين عليه السلام عن تلك الحالة التي تعتريه، عند وقوفه في الميقات وكأنه لا يستطيع أن يقول: لبيك، فيجيب عليه السلام: «أخشى أن يقول لي ربي: لا لبيك ولا سعديك»، فيقول سفيان بن عيينة، وهو الراوي لهذا الحديث: «فلما لبي غشي عليه وسقط من راحلته فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه». ٢١

وتستمر روح العبودية هذه والسلوك الروحاني والتقرب إلى الله تعالى، وترك الدنيا والانسلاخ عن عالم المادة، والالتحاق بالملكوت والاستغراق في الله، حتى انتهاء مراحل وأعمال الحج ومناسكه، وهذا السلوك الروحاني هو الذي يمثل جوهره العبودية في كل العبادات، لكن تتجلى في الحج أكثر من غيره من العبادات، ولذا فإن الحج بهذا البعد المعنوي الواسع والمجازية الروحانية العظيمة، هو بمثابة دورة كاملة من البناء الذاتي لشخصية الإنسان المسلم، وتهذيب نفسه من كل صنوف الدنس، والتزيين بمظاهر الأسماء والصفات الإلهية.

ب - البعد الأخلاقي للحج

مناسك الحج ومراسمه ما هي إلا دورة تدريبية تربوية للنفس والروح والبدن على السواء، لصنع الإنسان الحرّ في فكره وإرادته، غير منقادٍ لأعداء الله،

٢٠. مستدرک الوسائل ٢: کتاب الحج، الباب ١٧، الحديث ٥.

٢١. الحجّة البيضاء ٢: ٢٠١.



شياطين الإنس والجنّ كبيرهم وصغيرهم، فالأفعال العبادية والتروك والالتزامات، كلّ هذه التعابير الجسدية والنفسية وسيلة من وسائل انتظام الخلق وسموه ككيان روحي فكري أخلاقي عبادي متميز.

إنّ في الحجّ يتعوّد المسلم الألفة، والتعارف عن طريق السفر والاختلاط، فتنمو لديه الروح الاجتماعية، وتتهذب ملكاته الأخلاقية، عن طريق هذه الممارسة التربوية، والتفاعل البشري الرائع، الذي يشهده في الحجّ، بأرقى درجات الالتزام، والاستقامة السلوكية، من خلال المناسك والمراسم الشرعية؛ كثيراً ما يتغير الإنسان إلى الأفضل، فيتعود الحاج على الصبر، واحتمال المشاق والصعاب، إضافة إلى تعوده من خلال المعاشرة على حسن الخلق، والصدق، والحوار مع الحجّاج الآخرين، ويتعود اللطف، والتواضع، واللين، وحسن المحادثة، والتعاطف، والكرم، والامتناع عن الكذب، والخصومة، والغيبة، والنميمة، والتكبر، والعظمة، والجدال، وغيرها، حيث قال تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ...﴾. ٢٢ وهذه النواهي في الحجّ تساهم في بناء شخصية المسلم، وتعمل على إعادة تنظيمها، وتصحيح مسيرتها في الحياة، وتزرع في النفس مكارم الأخلاق وتقودها إلى استقامة السلوك، وحسن المعاشرة.

ويتطلب الحجّ من المكلفين به شدّ الرحال، وتغيير الحال، وصحبة الرجال، وربما الأهل والعيال، وفي كل ذلك دروس في حسن الأفعال، فأهل الحكمة يقولون: إنّ الأخلاق، هي الحكمة العملية، التي تتجسد بالفعل غير الاعتيادي الذي يصدر من الإنسان بغاية، ومن أجل هدف.



وإن كان الإنسان مستتراً قبل الحج في بيته لا يعلم من خلقه شيء، فقد برز في الحج إلى الساحة العملية، فلا يمكنه أن يخفي على الناس خليفته، وهو في سبيله إلى الله تعالى، عليه أن يلجأ إلى فعل لا يخرق به قصده الحسن في الله مقصد حجه ومنتهى غايته، إذ السفر ميزان الأخلاق؛ لما يظهر معه من طبائع الأفراد، التي لا يستطيع الإنسان بسهولة تجاوزها؛ لأنها توجه أفعاله بشكل عفوي، ذلك مقابل العمل الخلقى، باعتباره غير اعتيادي؛ لأنه يحتاج إلى علة يستند إليها، فالعمل الاعتيادي تحركه الغريزة، وتحركه الطبيعة، وتحركه العادة، أما العمل الخلقى فتحرّكه الغاية المستندة إلى الحكمة، والتي بدورها تستند إلى مرتكز عقلي.

البُعد المعنوي للحج عند الإمام الخميني رحمته الله

لقد أكد الامام الخميني رحمته الله قائد الثورة الإسلامية في إيران مراراً، أن سفر الحج هو سفر إلهي، وليس سفرًا عاديًا ماديًا مجرداً، وأنّ المراتب المعنوية للحج هي رأس مال الحياة الخالدة، وهي التي تقرّب الانسان من أفق التوحيد والتنزيه، وأنه لن يحصل عليها الحاج ما لم يطبق أحكام وقوانين الحج العبادية بشكل صحيح وحسن، والبُعد المعنوي للحج هو الدافع والوازع للمسلم، حيث يدفعه نحو الأبعاد الأخرى بحيث يراعي فيها الأخلاق والآداب الاجتماعية في علاقاته مع ضيوف الرحمن في موسم الحج، ومع عامة الناس بعد الموسم، و يقول الإمام الخميني رحمته الله في ذلك: «إعلموا جميعاً! أنّ البعد السياسي والاجتماعي للحج لا يتحقق إلاّ بعد أن يتحقق البُعد المعنوي».^{٢٣}

٢٣. الحج في أحاديث الإمام الخميني رحمته الله، مجلة ميقات الحج: ٤: ٤.



ولهذا نجد الإمام عليه السلام اهتم بهذا الجانب؛ لأنه الوسيلة الناجعة لارتقاء المسلم الأبعاد الأخرى، فقد جاء عنه رضوان الله عليه: «في المواقيت الإلهية والمقامات المقدسة، في جوار بيت الله المليء بالبركات، راعوا آداب الحضور في الساحة المقدسة للعليّ العظيم، وحرّروا قلوبكم أيها المحجاج الأجزاء من جميع الارتباطات المتعلقة بغير الله...»^{٢٤}.

وقد وجّه الإمام الخميني عليه السلام خطابات عديدة في هذا المجال، ليبين أن على الحاج أن يطهّر نفسه، ويخلي قلبه من كل شيء إلا حب الله، والطاعة، والخضوع له، وأنه يجب عليه أن يربط روحه بمعبوده الواحد الأحد؛ فقد قال عليه السلام محدثاً الحجيج: «... وأثناء الطواف في حرم الله حيث يتجلى العشق الإلهي، اخلوا قلوبكم من الآخرين، وطهّروا أرواحكم من أي خوف لغير الله؛ وفي موازاة العشق الإلهي، تبرأوا من الأصنام الكبيرة والصغيرة، والطواغيت، وعملائهم، وأزلامهم...»^{٢٥}.

ويسترسل الإمام عليه السلام في حديثه للحجيج مذكّراً بالاطمئنان القلبي الحاصل من الحالة العرفانية التي يعيشها العبد من معبوده ومحبوبه قائلاً: «سيروا إلى المشعر الحرام، وعرفات، وأنتم في حالة إحساس وعرفان، وكونوا في أي موقف مطمئن القلب لوعد الله الحق بإقامة حكم المستضعفين، وبسكون وهدوء فكّروا بآيات الله الحق...»^{٢٦}.

٢٤. الحج في أحاديث الإمام الخميني عليه السلام، مجلة ميقات الحج ٤: ٨.

٢٥. الحج في أحاديث الإمام الخميني عليه السلام، مجلة ميقات الحج ٤: ٨.

٢٦. الحج في أحاديث الإمام الخميني عليه السلام، مجلة ميقات الحج ٨: ٦.



وأيضاً يقول الإمام الخميني رحمته الله: «أخرجوا من قلوبكم غير حب الله، ونوروها بأنوار التجليات الإلهية، حتى تكون الأعمال والمناسك في سيرها إلى الله مليئة بمضمون الحج الإبراهيمي، وبعده بالحج المحمدي...»^{٢٧}.

القسم الثاني: البعد الاجتماعي للحج

إنّ الانعزال الاجتماعي يعدُّ من أخطر العوامل التي تؤدي إلى الاضطرابات العقلية التي تصيب الفرد المحروم من المشاركة في النشاطات الاجتماعية؛ وليس غريباً أن نقول: بأنّ المسلمين هم أقلّ الفئات البشرية انعزلاً، وأقلهم إصابةً بأمراض الاغتراب والعزلة، حيث إنّ التأكيد في العبادات الجماعية كصلاة الجمعة، والجماعة، والعيد، والحج، يقوي الانتماء الاجتماعي، والعلاقات والسلوك الجماعي، ومن الطبيعي أن أهداف الانتماء الاجتماعي لن تتكامل ما لم يشعر الفرد بالأمان، والحج يعطي الفرد شعوراً بالأمان؛ لوقوعه في الأشهر الحرم التي يحرم فيها القتال، ولأنّ المناسك يجب أن تؤدي في وضع شرعي أمّني خاص، ومن أجل ذلك، فقد أورد الإسلام ترتيبات أمنية في موسم الحج، حيث أوجب الأمن في البيت الحرام، وكون الحرم آمناً يأمن من دخله، وحرّم الاعتداء على الآخرين، وحرّم القتال في الأشهر الحرم، وأوجب حفظ حرمة الشعائر، وحرمة القاصدين لزيارة بيت الله الحرام، ومنع كل أساليب تعكير صفو الأمن خلال أداء المناسك، كالكذب، والجidal، والفسوق، وهذا كله يعكس أهمية الأمان في حياة الناس.

٢٧. الحج في أحاديث الإمام الخميني رحمته الله، مجلة ميقات الحج ٤: ٨.





والحج أيضاً لقاء يكتسب منه المسلم ثقافة اجتماعية، وفوائد مسلكية، ومنافع مادية، قد تنجر عنها بركة عظيمة، وفوائد جمّة لشعوب إسلامية بكاملها، إذ قد تعقد فيه المعاهدات التجارية، كتبادل البضائع ممّا ينشط الاقتصاد الإسلامي، ولم يكن هذا ليقع لولا تعارف المسلمين بسبب اجتماعهم لأداء هذه الفريضة المباركة؛ ذلك أنّ في تعارف الشعوب الإسلامية، وتبادلها الآراء، وطرحها لمشاكلها ما يضيق شقّة الخلاف إن كان هناك خلاف، وإذا انعدم الخلاف عمّ التفاهم، ووحدت الغايات، واتحدت المناهج.

والحج تدريب عملي للمسلم على المبادئ الإنسانية العليا التي جاء بها الإسلام، وترسيخ لقيم التواضع والمساواة، فقد أراد دين الله أن لا تكون تعاليمه ومبادئه مجرد شعارات أو نداءات، بل ربطها بعبادته وشعائره ربطاً وثيقاً، حتى تكون سلوكاً تطبيقياً في حياة المسلم وفي علاقته مع الآخرين.



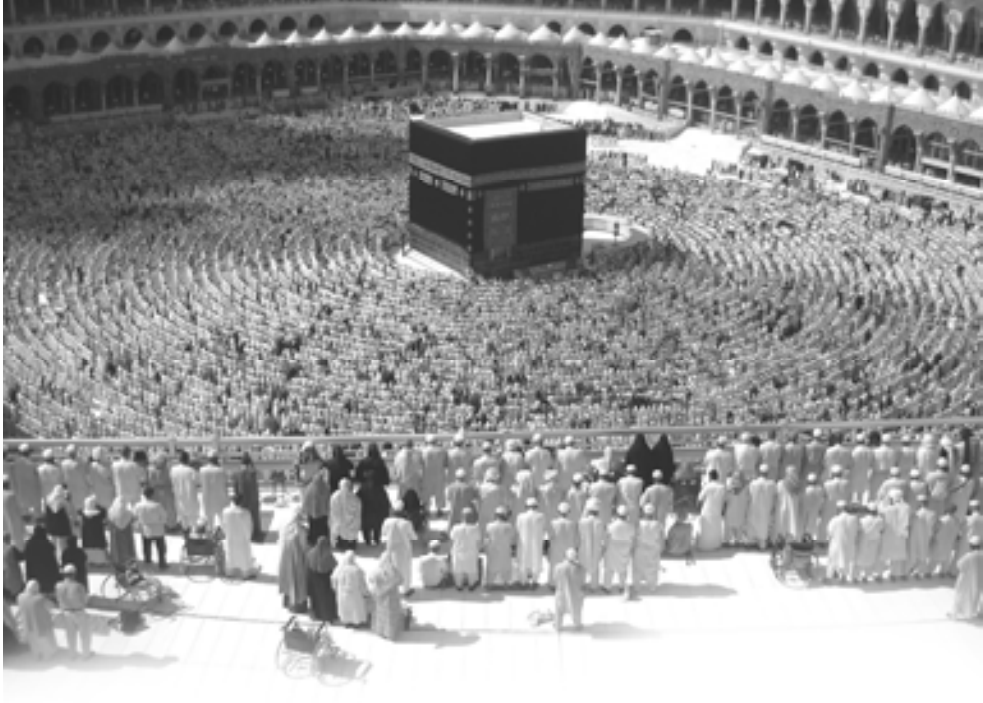
إنّ المسلم هناك وعندما يتجرّد عن الثوب الأنيق، بل الثوب المخيط، ويحرم عليه أن يمسّ الطيب.. ويرى نفسه في لباسٍ يساوي أقلّ الناس مالاّ وجاهاً، هناك يتلقّى درساً في المساواة، لا تبلغه أقوى العبارات وأعظم الدروس، فالزبيّ الذي يرتديه الحاج يدخل في شكله البسيط، ولونه الملائكي، يعرض بوضوح توحيد فصائل المجتمع الإسلامي، وتضامنه، ووحدته الشاملة التي سنتعرض إليها باختصار:

الحجّ و وحدة المسلمين

إنّ الوحدة هي الكفيلة لحفظ كيان الأمة وتماسكها، وترسيخ وجودها، وتشبيت أقدامها.. وبأنّ التوحّد والترابط، والتآلف والتماسك، هي مصدر القوّة والغلبة، ومنبع القدرة والمنعة.. وأنّ القوّة أمر ضروري لحفظ الشرائع والمبادئ.. والوحدة مصدر قوّة، وفي الحجّ نجد هذه القوّة، حيث إنّ الحجّ ليس مجرد فريضة تهذبّ النفس، وتعصم السلوك، بل هو أيضاً عنوان للأخوة الإنسانية العامة عبر التاريخ حول مسألتي العبودية لله، واجتناب الطاغوت، وذلك بشتى الأساليب التي تتناسق فيما بينها لتؤكد هذا المضمون الوحدوي العظيم في الحج، ومسلوك وخطّ جميع الأنبياء، وإعطاء القوّة للأمة.

وقد تابعت الثورة الإسلامية في إيران هذا الخط، وأكدت على لزوم إعادة الدور الحقيقي للشعائر الإسلامية، كصلاة الجمعة، والحج، باعتبارهما من أكبر المجالات المحققة للإحساس بضرورة الوحدة في هذه الأمة.





إنَّ الحجَّ فريضة إلهية، لها أبعاد توحيدية كبيرة، وهي مؤتمر كبير يجمع المسلمين من كل الأقطار، متحدة نحو قبلة واحدة، في طاعة إله واحد، مستنين بسنة الرسول الأكرم ﷺ.

الخلاصة والنتيجة

كانت تلك نظرة موجزة عن البعد التربوي والاجتماعي للحج الذي فرضه الإسلام، وأداه الرسول ﷺ واستوت على أساسه سيرة أئمة الدين، وحفظت الشريعة الإسلامية، إستناداً على الكتاب والسنة، وعلى ضوء أفكار علماء المسلمين ومفكريهم، لاسيما الإمام الخميني الراحل رحمته الله، ولاشك إذن في كون أي حجّ يفتقد هذه الروح وذلك العقل، وتلك الأبعاد وغيرها من الآثار والمعطيات، مهما بلغت درجة سطوع ظاهره وتزينه بالمظاهر البراقة، لا يتعدى كونه ضجيجاً وحسب، ويكون حجاً للنزهة والسياحة والتجارة، كما وصفه الرسول الأعظم ﷺ بقوله لإبن



عباس في ذكر حوادث تقع في المستقبل لأناس آخر الزمان: «يحجّ أغنياء أمتي للزهوة، ويحجّ أوساطها للتجارة، ويحجّ فقراؤهم للرياء والسمعة».^{٢٨}

وإثر إلقاء هذه النظرة الواقعية، الخالية من العنصرية والتحيز في مسألة الحجّ وأبعاده وآثاره، يطرح هنا السؤال نفسه على كل علماء الدين ومفكريهم الحريصين على حفظ الإسلام ورفق المجتمع الإسلامي، وكل المهتمين بشؤون الإسلام ومصير المسلمين، وهو: ما هي نسبة الاستفادة التربوية والاجتماعية التي تحصل عليها سيول المتدفقة تجاه بيت الله الحرام، والمتعطشين لمناسك الحج، والعاشقين لزيارة النبي الكريم ﷺ هذا السفر الذي يستغلّ عادة الكثير من الإمكانيات المالية والمعنوية اللازمة لقطعه؟

وما هو الدور الذي يلعبه علماء المسلمين ومفكروهم، والذين تقع على عاتقهم المسؤولية الايدولوجية، والفكرية، والإرشاد، والتعليم، والأمر بالمعروف، ومراقبة المجتمعات الإسلامية كافة؟

وما هي التدابير التي ينبغي أن تتخذها الدول وحكّام الأقطار الإسلامية

في هذا المجال؟

ولاشك أنّ الجواب هو لا يتعدّى أمراً واحداً، وهو عودة علماء الإسلام إلى مكانتهم الطبيعية الأصلية في المجتمع، الذي أَرادها الله ورسوله لهم، حيث يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون أحداً غيره.

ومن هنا تكون مسؤولية العلماء العاملين على إيصال الناس إلى ربهم، الذين نصبوا أنفسهم في مقام الوصل بين العباد وخالقهم، أكبر وأعظم وأكد، إذ عليهم أن يهيئوا أنفسهم في الدرجة الأولى للعمل الدؤوب على جعل مراسم الحج

٢٨. مجمع النورين للمرندي : ٢٩٣؛ الميزان في تفسير القرآن ٥ : ٤٣٤.



برنامجاً عبادياً، وميقاتاً إلهياً، يقرّبون به العباد من ربهم، ويهذبون نفوسهم على الإخلاص والطاعة، والتخلق بالأخلاق الإيمانية العالية حتى يكتبوا عند الله من المبلغين الرساليين، ثم يجعلونها برنامجاً جامعاً تربوياً، إجتماعياً، إقتصادياً، سياسياً، وثقافياً، يدفعون المجتمع الإسلامي به نحو الصواب، والرشاد، والإصلاح، والرقى في جميع مجالات الحياة.

وبتحقق هدف كهذا، فإنّ الجموع الإسلامية الغافلة ستستيقظ من غفلتها، وتتذوق التجارب القيّمة الموجودة في تاريخها المجيد والمشرق، وباعتمادهم روح الأمل، فإنّهم سوف يسيرون خلف علمائهم وأمرائهم، وبذلك يحيون روح الحجّ الإسلامي، ويلبسون المجتمعات الإسلامية تلك الحياة الطيبة، وتحقق بذلك الأمانة الواحدة التي أرادها الله أن تكون خير الأمم أخرجت للناس، قال تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾.^{٢٩}

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على خير الخلق أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين، وصحبه الأخيار المنتجبين.

فهرس المصادر:

- القرآن الكريم .
- وسائل الشيعة / الحر العاملي .
- سفينة البحار / المحدث القمي .
- علل الشرايع / الشيخ الصدوق .
- أصول الكافي / الشيخ الكليني .

٢٩. سورة آل عمران : ١١٠.



- الميزان / محمد حسين الطباطبائي.
- بحار الأنوار / العلامة المجلسي.
- تفسير القمي / علي بن إبراهيم.
- ثواب الأعمال / الشيخ الصدوق.
- المحجة البيضاء / الفيض الكاشاني.
- من لا يحضره الفقيه / الشيخ الصدوق.
- جواهر الكلام / محمد حسن النجفي.
- مستدرک الوسائل / المحدث النوري.
- صحيح مسلم / مسلم بن الحجاج القشيري.
- صحيح البخاري / محمد بن إسماعيل.
- مسند أحمد بن حنبل، سنن ابن ماجة.
- مصباح الشريعة / المنسوب للإمام الصادق عليه السلام.
- الحج في أحاديث الإمام الخميني قدس سره / مجلة ميقات الحج.

الأقراص الكمبيوترية (Cd)

- ١- جامع الأحاديث : (٤٤٢ مجلد في ١٨٧ عنوان من ٩٠ مؤلف)،
إصدار مركز البحوث الكمبيوترية للعلوم الإسلامية، قم.
الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الإصدار الثاني.
- ٢- مكتبة أهل البيت عليهم السلام : (٤٤٦٧ مجلد)، إصدار مركز المعجم الفقهي
للمرجع الديني آية الله السيد الكلبايگاني، الإصدار الأول.

